

# الفصل الأول

## كيفية الانتصار

### طبيعة الإستراتيجية

تعتبر الإستراتيجية واحدة من تلك الكلمات التي تستخدم بحرية وحتى داخل طائفة واسعة من السياقات التي تعني ما قد يبدو في حيرة من أمرهم، فلم يكن هناك ارتباك حول الشكل الأصلي اليوناني لكلمة "الإستراتيجيات" والتي تعني ببساطة "فن إدارة الجيوش".

أما اليوم، ومع ذلك، فهي تُدعى مطالب رعاية الإستراتيجيات لمجموعات هائلة من الجنود والعتاد والشركات لديها إستراتيجيات لبيع منتجاتها؛ والفرق الرياضية لديها إستراتيجيات لتتنصر على خصومها، والأفراد كذلك لديهم إستراتيجيات لتوفير المال، وإدارة حياتهم الاجتماعية وفرز موسيقاهم إلى مجموعات؛ وهلمّ جراً...

كما ويمكن أن ينشأ مفهوم الإستراتيجية - إلى حدّ ما - من عوارض في الطريقة المنيعة وكذلك العمليات العسكرية لمنظومات الأسلحة الإستراتيجية، وكثيراً ما دعيت كذلك بغض النظر عن الظروف التي يجري تطبيقها. فالقوات الموالية وثيقة الصلة بهذا الموضوع، أما بالنسبة للجزر والمناطق البعيدة، فإنّ أي هدف بعيد سيكون عن طريق مهاجمة الطائرات للبيوت تقريباً وتلقائياً تكون قد اجتذبت العلامة الإستراتيجية.

وهكذا، فإنّ الهجوم الانتحاري ضد أي عدو إستراتيجي للوطن، بصرف النظر عن الهدف، والحرفية مع طائرة ذات أربعة محركات والقادرة على حمل قتال ثقيلة حيث تعتبر كقاذفة إستراتيجية ينظر إليه على أنّه عمل إستراتيجي. وعلى العكس من ذلك، فإنّ حمولة الطائرة الأصغر والأخف والتي كانت تطير مسافة أكثر قريباً من الشاطئ وبطلعات روتينية، فإنّها توصف على أنها طائرة تكتيكية ليس إلا، وكما جرى أثناء مهام تلك الطائرات، بصرف النظر عن الهدف.

وحتى الآن، فمنذ عام 1965 إلى عام 1972 خلال الحرب الأمريكية في الهند الصينية، والتي استخدم فيها أكثر من 105 مقاتلات من الطائرات التي تعتبر "تكتيكية" وذات المحرك الواحد وكذلك المقاتلات من طراز "إف" أمّا القاذفات كانت تستخدم كالقاذفات الإستراتيجية التي تم استخدامها في طلعات القصف في شمال فيتنام كالقاذفة "بي 52" الإستراتيجية التي استخدمت للقصف الشديد وكذلك للضربات "التكتيكية" في جنوب فيتنام.

وبالمثل، فخلال افتتاح مراحل حرب الخليج الأولى عام 1991 استخدم الجيش في "ساحات المعارك" المروحيات بعيدة المدى، وذلك من أجل توجيه الضربات "الإستراتيجية".

تشير هذه الأمثلة إلى أنّ "الإستراتيجية" ينبغي أن تكون محددة، وليست هدفاً، ومنصة للأسلحة النووية أو المحمولة جواً، ولكن الهدف من هذه الضربات، هو توضيح دلالية البلبلة التي غالباً ما تقترن بالاستفادة من الإستراتيجية اسماً وصفة.

إنّ الفكرة القائلة بأنّ العمل العسكري يجب أن يحدد النتائج المقصودة يتحقق في الواقع من خلال واقع النتائج ما بعد التنفيذ، وهذا ما تمّ اكتسابه على نطاق واسع بعد حرب الخليج عام 1991، وقد نوقشت هذه القضية بالتفصيل في الفصل السادس.

على الرغم من أنّ القبول العام لاستخدام كلمة "إستراتيجية" مازال محدوداً على وجه الخصوص، بيد أنّ القدرات القتالية التي تمتاز بالقدرة على العمل على المدى الطويل، أو التي يمكن نشرها بسرعة مثل القوات الخاصة، والغواصات، والطائرات الثقيلة وطائرات الإنزال وكذلك طائرات نقل منفذي العمليات، لا تزال تميل لجذب وصف الإستراتيجية، في حين أنّ العمليات قصيرة المدى والأبطأ، لا تزال توصف بأنها "تكتيكية".

ولكن هناك غموض أقل بكثير حول استخدام "اسم تكتيك" والذي يُطبق على مستوى العالم تقريباً من قبل قوات الدفاع لوصف الإجراءات المحددة التي توضع استجابةً لظروف محددة المواقف.

وفي معظم الأحوال، فإنّ تلك الإجراءات المتصلة بمختلف الطرق، والتي يمكن لقوات المكافحة والمناورة وقوة النيران تطبيقها.

وعلى سبيل المثال، فإنّ قوات المشاة تكون ذات خبرة وعلم وقد مارست العديد من أساليب التعامل مع المناورات الهجومية والدفاعية، ووضعت قياداتها نماذج الدعم المتبادل لإطلاق النار، وإنشاء أو الرد على الكمائن، وهلمّ جراً.

في حين أن مقاتلين من التشكيلات البحرية والطيارين قد فعلوا الشيء نفسه وبنسبة أكثر من ذوي الخبرات القتالية في قوات الطوارئ في الجو والبحر على التوالي.

هناك تمييز واضح بين "الإستراتيجية" وبين "التكتيك" ولكنه تمييز غير مباشر حيث ينعكس في اعتراف التاريخ العسكري للقادة وللشعب الذي لديه تاريخ كبير من الجنرالات وقائمة طويلة من الأبطال التاريخيين مثل الإسكندر، وقيصر روما، ونابليون، ولي، وقد ينظر الخبراء الإستراتيجيون في المقام الأول، حيث أنّ الناس قادرون وبنجاح على تطوير شامل من المفاهيم (الإستراتيجيات) لتسيير الحروب والحملات، دون اللجوء بالضرورة إلى مباشرة هذه الإستراتيجيات ودون ترجمتها إلى تكتيكات على أرض المعركة (مع ملاحظة أن الكثير من الجنرالات قد تفوقوا في كل من مصر وغيرها مع بدء استخدام التكتيكات).

ومن هذا المنطلق، يمكننا أن نستنتج من ذلك ملاحظة من أن التفكير الإستراتيجي هو أكثر تجريدية فيما يتعلق بالفكر، لكنه يعتمد عملياً على تطبيق التكتيكات، والاستنتاج الذي بدوره ربما يفسر استمرار الغموض المرتبط باستخدام "الإستراتيجية".

لقد حاول الكتاب الابتعاد في كثير من الأحيان عن تأويلات وتعريف كلّ من البيروقراطية السياسية والدبلوماسية العسكرية والمؤسسات للإستراتيجية، ذلك لكون عدد كبير منها قد حاول تحديد وبدقة مستويات الإستراتيجية، وهو ما يعني وضع حدود للمؤلفين، وكذلك حدود لكل من هذه المنظمات.

وهكذا، فقد تمت عنونة مفهوم "الإستراتيجية" على أعلى مستوى والتي تعتبر أرفع ذراع للحكومة أو القيادة المؤسسية.

وحيث يجب أن يبدأ، من الناحية النظرية على الأقل، وبإيجاز، وصف الهدف الرئيسي لجميع الموارد البشرية والدبلوماسية والاقتصادية، والعلمية والإعلامية والاجتماعية والصناعية والعسكرية، وربما الفنية، وما إلى ذلك ومن ثمّ توجه كل ذلك لكي يصبّ في المصلحة الوطنية.

تقع الإستراتيجية ضمن هذه المجموعة المؤلفة من التعاريف، ذلك لكون الإستراتيجية تقوم على عدد من الإستراتيجيات التكميلية أو التبعية والتي تنص صراحةً على معالجة قضايا مثل الاقتصاد والدبلوماسية، والعمليات العسكرية، مشيرة إلى أن مجموعة واسعة من الخيارات يمكن أن توجد ضمن كل واحدة من هذه المسائل وغيرها من الطرق المحتملة في السعي إلى الأهداف. فالإستراتيجية العسكرية، على سبيل المثال، يجب عليها - وربما على نطاق واسع - الموافقة على أي عدد من المناهج البديلة لحماية السيادة الوطنية، وذلك من قبيل الردع، بل وربما القيام بأعمال انتقامية واسعة النطاق، وقد يتطور الوضع لمستوى الإرهاب، وحرب الشعب، والضرية الوقائية، إلخ...

ولأنّ التنافس بين الإستراتيجيات التفاعلية والتعريف بها، والإستراتيجيات العسكرية الكبرى يمكن أن يكون محدوداً زمنياً، وحسب ما تمليه الظروف على الأرض، حيث يمكن أن تُفعل وتُغيّر، وذلك كما توضّح ما فعله الحلفاء في تحويل الأهداف خلال الحرب العالمية الثانية.

لقد طغى النجاح المذهل - خلال المراحل الأولى من الحرب ضد ألمانيا - والحلفاء العسكريون والنازيون، في ساحة المعركة لصالح بريطانيا العظمى، وقد قامت قلة قليلة من مؤيدي ذلك الخيار الذي لم يكن اتخاذه سوى محاولة للبقاء على قيد الحياة.

كان كل ما يطمح إليه قادة بريطانيا خلال الفترة الواقعة في بداية شهر أيلول / سبتمبر من عام 1939 وحتى معركة بريطانيا وبعدها بعام واحد هو تحقيق الانتصار بأي ثمن، وهذا ما فعلوه.

وبعبارة أخرى، فإنّ البقاء على قيد الحياة هو الإستراتيجية الكبرى، حتى وإن لم

يكن يُعرّف رسمياً على هذا النحو كما ينبغي أن تكون جميع العمليات العسكرية موجّهة نحو هذه الغاية، كما هي في الواقع وأكثر.

غزا هتلر الاتحاد السوفيتي في شهر حزيران / يونيو من عام 1941 مما اضطر الروس للانضمام إلى التحالف، وكان هجوم اليابان على ميناء "بيرل هاربور"<sup>(9)</sup> بعد ستة أشهر هو الأمر الذي جرّ الولايات المتحدة لتغرق في الحرب أكثر حيث تم توجيه كل الاهتمام نحو اليابان سواء بضربات مدمرة للمحور أو غيرها.

وهكذا، فقد أضحت اليابان تكافح في محاولة لخروجها كمغلوبة، وقد فشلت في إرغام الولايات المتحدة والأميركيين على التراجع نحو الانعزالية، في حين كانت الإمبراطورية تأمل من حكومة الحرب ومن هتلر تحقيق حلم إقامة إمبراطوريته السلافية، بيد أنها تعثرت في ذلك الشتاء، بالإضافة إلى الوحشية المروعة في القتال في مدينة "ستالينغراد"<sup>(10)</sup> وملحمة "كورسك"<sup>(11)</sup> وغيرها من المعارك على الجبهة

---

9- بيرل هاربور بالإنجليزية Pearl Harbor: أي ميناء اللؤلؤ (ميناء وقاعدة عسكرية، يقع على جزيرة أوهاو، الذي ينتمي إلى جزر هاواي، معروف بكونه كان هدفاً لهجوم مباغت في 7 ديسمبر 1941 من اليابان، بسبب الحصار الاقتصادي الذي كانت تمارس الولايات المتحدة الأمريكية. وهذا الهجوم أسفر عن المشاركة النشطة من جانب الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية. ورغم أن الولايات المتحدة أعلنت الحياد من الناحية الرسمية، إلا أنها شاركت في الحرب منذ أن بدأت بتقديمها الدعم والإمدادات إلى الدول التي كانت تواجه قوى المحور محاولة منها للحد من التوسع الياباني. ويعتبر ميناء بيرل هاربور أحد أميز المرافق الحربية في العالم بمساحته الشاسعة وموقعه البحري ذي الحماية الطبيعية. ويتشكل من مصبين لمجرى نهر بيرل على مسطح مائي تريبو مساحته على 26 كم<sup>2</sup> صالحة للملاحة، وبه ثلاث (أشباه بحيرات) وهي بحيرات بشواطئ أرضية شبه مكتملة. واشتق اسم الميناء من محار اللؤلؤ الذي كان ينمو بمياهه قديماً.

10- معركة ستالينغراد هي إحدى أهم المعارك الكبرى والفاصلة التي شهدتها الحرب العالمية الثانية. جرت في مدينة ستالينغراد خلال الحملة العسكرية الألمانية على الاتحاد السوفياتي، واستمرت حوالي 6 أشهر بين 21 أغسطس 1942 و 2 فبراير 1943.

الشرقية.

ومع حلول منتصف عام 1943 بدأ التوازن العسكري والصناعي في التغيير، وكان من الواضح أن الحلفاء هم الذين سينتصرون في نهاية المطاف، على الرغم من أنّ قدراً كبيراً من التضحية والمعاناة كانت لا تزال مطلوبة آنذاك.

ولكن هذه المرة أيضاً، كان المدى الواسع للفساد الذي مارسه الألمان والأنظمة اليابانية، قد أصبح واضحاً، الأمر الذي أدّى إلى تغيير جذري في الإستراتيجية الكبرى المتحالفة.

الآن، وحيث أعلن الحلفاء أنّهم لن يقبلوا على الإطلاق بأقل من الاستسلام غير المشروط من قبل أعدائهم.

إلا أنّه كانت هناك أهداف أخرى للحلفاء وقد استقرت على مثل:

- الاستسلام المشروط؛ والذي يمكن أن يكون محور الاحتفاظ ببعض الحقوق السياسية.

- تسوية تفاوضية على طول الحدود الإقليمية؛ لأنها كانت موجودة في ذلك الوقت، وما إلى ذلك.

وقد كانت هذه الأهداف هي الأسمى بالنسبة للحلفاء، إلا أنّ التدمير الكامل للنازية وكذلك الإمبراطورية اليابانية أدى إلى تغيير المعتقد السياسي، مما يعني أنّه يمكن أن يكون هناك نصر غير مشروط في منطقتي الإستراتيجية.

كان ينبغي أن يكون هناك صلة مباشرة بين الإستراتيجية، والإستراتيجية العسكرية التابعة لها، كما كان ينبغي أن تكون تلك الصلة ذات وجود دائم في القضية. ذلك لأن الحلفاء كانوا يعتقدون أنّ ألمانيا تُمثّل أكبر تهديد مباشر للدول المتحضرة، أكثر بكثير مما فعلت اليابان، ولذلك فقد قرّروا أنّه إذا ما انتصر هتلر أولاً، فسيكون حكمه ذا أثر كبير على الأولويات من أجل شنّ الحملات

---

11- معركة كورسك: تعتبر من المعارك التي حددت مسار ونتائج الحرب العالمية الثانية جرت ما بين 5 يوليو 1943 و23 أغسطس بين القوات الألمانية والسوفياتية قرب مدينة كورسك، وشهدت وقوع أكبر معركة دبابات في التاريخ وهي معركة بروخوروفكا.

العسكرية، واختيار مسارح العمليات، وتخصيص القتال في موارد الحرب. كما كانت هناك مجموعات فرعية داخل "إستراتيجية انتصار هتلر كأول إستراتيجية" مثل قرار شن حملة كبيرة على شمال إفريقيا في أواخر عام 1942، لأن الحلفاء لم يكونوا أقوياء بما يكفي للهبوط بالقوة من أوروبا في ذلك الوقت. عندما أذعن النازيون في شهر أيار / مايو 1945 تغير الوضع الإستراتيجي للحلفاء، وكذلك فعل على أهداف إستراتيجية كبرى، ذلك لأنها حولت اهتمامها التام ضد اليابان.

### فن الانتصار:

في محاولة لوضع معنى مقبول لهذه العبارة، فإنه من الضروري إقامة بعض التفاهم حولها. وعلى الجانب الآخر، وفي محاولة لبناء تعريفات ثابتة، يمكنها أن تضع حدوداً حول المرونة المرنة وترسيخ الفكر، ولكن هذا بدوره يمكن أن يعيق التقدم. فبدلاً من محاولة فرض الأوصاف التي قد لا تكون مريحة، إلا أنها غالباً ما تكون بناءً أكثر لمجرد الاعتراف بأن كلمة معينة سوف تستخدم على نطاق واسع ومقبول عملياً وغير معقد التفسير.

وبغض النظر عما إذا كان من مصلحتنا اتخاذ قرار السيطرة على تجارة التجزئة، والمفاوضات الدبلوماسية، أو الحرب، وحقيقة أن نعتقد أننا بحاجة إلى إستراتيجية تتطوي على المشاركة في المنافسة من نوع ما. ومن يقرّ بقبول فكرة المنافسة فسيكون الأكثر إفادة في حين سيكون من الأفضل تفسير بروز الإستراتيجية بشكل أنقى، وأكثر مباشرة وتعبيراً فيما يتعلق بإستراتيجية فن الانتصار، وليس المهم هو انتصار النظرية، بل المهم هو كيفية الانتصار.

يبدو أنّ مفتاح استخدام هذا المعنى لديه فهم واضح حول ما هو مقصود وما هو غير مقصود بالانتصار.

إنّ الانتصار، مثل كل شيء آخر في الحياة، هو أمر نسبي. ونتيجة لذلك، ومرة أخرى، فإنه يعتبر مفهوماً منفتحاً لتفسيرات من المرجح أن تكون مفيدة للغاية، لأن تلك التفسيرات سوف تخلق خيارات مرنة مما يسهل عملية التفكير السليم.

وهكذا، فإذا كنا نعتقد أننا بحاجة لصياغة إستراتيجية دائمة، أو للرد على مجموعة معينة من الأحداث، فسوف ينبغي في الحال أن يكون الهدف هو تحقيق أكبر قدر ممكن من الموارد المتاحة في المتناول وبأقل تكلفة، وهذه قاعدة بالغة الأهمية، لأنها تعني أن النتيجة النهائية الخاسرة من جانب واحد، ينظر الفرد إليها باعتبارها انتصاراً للجانب الآخر.

ومثال ذلك ما حدث مع الإسبارطيين في عام 480 قبل الميلاد في إقليم "ثيرموبایل" وقد سبق ذكره.

وبعبارة أخرى، فإن الاعتماد على وجهة نظر معينة، قد تقع نتيجة الانتصار في أي مكان على طول سلسلة متصلة من الاحتمالات التي تتراوح بين مقبول وغير مشروط لانتصار الهزيمة.

ومن ناحية أخرى، تلقي تجربة التحالف الذي قاده الولايات المتحدة في الهند الصينية بين عامي 1962 و1975 مزيداً من الضوء على هذه النقطة. حيث كانت قد اتخذت تقريباً كل التدابير في التحالف العسكري من أجل هزيمة فيتنام الشمالية، وقد كبّدوا ثوار "الفيتكونغ"<sup>(12)</sup> حينذاك خسائر هائلة في العتاد والموارد والأرواح البشرية. ولكن نظراً للحالة السياسية لجميع الفيتناميين الشماليين والفيتكونغ، فقد كانوا يسيرون في طريق الانتصار متبعين وسائل دفاع بدائية للغاية، وكذلك تطبيق سياسة (الانتصار والحرمان) وقد أثبت تطبيق هذه الإستراتيجية نجاحها وفعاليتها في نهاية المطاف، الأمر الذي عجل في انسحاب القوات الأميركية من فيتنام في عام 1973، وهذا بدوره كان المؤشر الرئيسي إلى انهيار نظام الحكومة

---

12- الجبهة الوطنية لتحرير جنوب فيتنام المعروفة بـ الفيت كونغ (Việt cộng) حركة مقاومة مسلحة فيتنامية نشطت بين 1954 - 1976. بدأت قوات الفيت منه في الجنوب في التمرد على حكومة ديم. وقد عُرف هؤلاء بالفيت كونغ. وفي عام 1959م أعلنت فيتنام الشمالية تأييدها لهذه الفئة وأمرتها بشن كفاح شامل ضد حكومتها. كانت أول مجموعة متمردة ناضلت ضد الاستعمار الفرنسي وضد جمهورية جنوب فيتنام. هذه الجبهة كانت معارضة لجميع العناصر المكونة للحكومة بصرف النظر عما إذا كانوا شيوعيين أم لا.

الفيتنامية الجنوبية في عام 1975 م.

يستخدم البشر الإستراتيجيات لتحقيق النصر على كل مستوى من مستويات الصراع. وبناء عليه يمكن تعريف الإستراتيجية على أنها "كيفية الانتصار" وذلك ينطبق بنفس القدر على الانتصار بالأيدي في قتال بين اثنين من المشاة كما هو الحال بالنسبة للإستراتيجية التي أقرتها الحكومة في السعي إلى القرار النهائي الوارد من الصراع الوطني.

لكن الفرق بين هذين المثالين يكمن في الواقع في النتائج، ومن المرجح أن يكون ذلك على مدى كل صراع. فالمكافحة الفردية هي مسألة حياة أو موت بالنسبة للمشاركين، ولكن في الحرب الحديثة، من غير المرجح أن يكون له تأثير كبير - إن وجد -.

وعلى العكس من ذلك، ووفقاً للأسطورة الواردة في الكتاب المقدس، عندما استطاع الفتى الراعي اليهودي "ديفيد" قتل "جالوت"<sup>(13)</sup> العملاق، وهذا إشارة إلى أنّ

---

13- ذكر القرآن الكريم قصة داود وجالوت وكيف أن طالوت وعده بأن يزوجه ابنته إن هو قتل جالوت ومن ثم تتويجه ملكاً على بني إسرائيل. كما ذكرت القصة في التوراة والإنجيل وتدوالها الكتاب والمغنون والرسامون نذكر منهم مايكل أنجلو في لوحته الشهيرة سفر التكوين والمأخوذة من العهد القديم والتي تتحدث عن الراعي ديفيد أصغر إخوته الثمانية الذين ذهبوا للعمل في جيش الملك بينما بقي ديفيد راعياً للأغنام مستجيباً لنبوءة النبي يوسف والذي تنبأ لديفيد بأنه سيصبح ملكاً لبني إسرائيل وأن رعي الأغنام ستعلمه كيف يحكم شعبه بعد أن يصبح ملكاً، واستمر ديفيد على هذه الحال مصارعاً الأسود والذئاب والحيوانات المفترسة بمقلعه الذي كان يجيد استخدامه يوماً بعد يوم؟؟؟

كان ديفيد موسيقياً جيداً، وكان يغني أغاني لله حتى وصلت موسيقاه إلى القصر الملكي والذي بدوره طلب من ديفيد أن يأتي إلى القصر ليعزف للملك حين يكون في مزاج سيء وذات يوم طلب والد ديفيد أن يرسل الطعام لإخوته على الثغور ويسمع من أخبارهم بعد طول غياب ولدى وصول الأخير والذي لم يكن على علم ودراية بالحدث وبالمعركة الفاصلة بين جنود طالوت الإسرائيلي والعملاق جوليئات الفلسطيني وكان الأقدار ساقطت ديفيد إلى ذلك المكان ليمنع مجزرة مروعة كادت لتحصل لولا قدوم ديفيد الراعي المنقذ حيث سأل ديفيد الجنود لم لا تخرجون له وأنتم جنود الله الحي وستنتصرون بمشيئته فيرد عليه الجنود إن كنت شجاعاً لم لا تذهب إلى الملك وتقول له بأنك مستعد لمنازلة ذلك العملاق... وسط سخرية من الجميع؟؟ وهنا تفاجأ الجميع من موافقة الراعي البسيط حين طلب من الملك السماح له بأن يقاتل جوليئات وعرض عليه الملك سيفه ودرعه في إشارة للإعجاب بشجاعة ذلك الراعي، لكنه رفض ذلك بحجة أنه

المقاتل المثقف ثقافة قتالية يمكنه أن يتغلب على جيش غير مثقف، وهذا ما أسفرت عنه نتيجة تلك المعركة.

مما يؤدي إلى أن مفهوم "نتائج الإستراتيجية، وإستراتيجية الخروج" يأتي ليكون له تأثير عميق على أية حال في هذه القضية. ومن المرجح أن يكون ذلك التأثير مفاجئاً، وقد يؤدي إلى إحداث تغيير كبير في الوضع، وفي موازين القوى التي يسيطر عليها، وما إلى ذلك. في حين تأتي "إستراتيجية الخروج" بتمثيل المثل الأعلى للدولة في نهاية أي عمل، بغض النظر عن حجمه. لكن التصرف "المتطرف" قد يكون لديه القدرة على تحقيق هدف حاسم وذلك عن طريق ضربة واحدة في المخ، كما في حالة ديفيد الذي استهدف خصمه العملاق بضربة واحدة لكنها قاضية.

إن استخدام الأسلحة الذرية من قبل الولايات من أجل وضع حد رادع للحرب مع اليابان هو بمثابة مثال آخر واضح على ذلك، وقد أنهى كل الجدل بقنبلة واحدة من حجم مختلف تماماً.

وهكذا، وتبعاً للظروف على الأرض، ففي استخدام القوة، قد لا يكون هناك حاجة إلى مجرد نشر وحدات يمكنها التأثير من خلال إستراتيجية الردع.

خلال المراحل الأولى من عملية الأمم المتحدة والعقوبات المفروضة من أجل تحرير "تيمور الشرقية" في الفترة الواقعة بين عامي (1999 - 2000) على سبيل المثال، كانت هناك مخاوف عديدة من أن المتطرفين في الحكومة الأندونيسية والجيش قد

---

معتاد على القتال بمقلعه الذي يحمله أينما ذهب وهو أخف وزناً وأسرع وصولاً واختار ديفيد حجارتة بعناية وتقدم باتجاه جولياث الأمر الذي أضحك جولياث، لكنه ما لبث أن شعر بالغضب الشديد عندما رآه يمشق مقلعاً بدلاً من السيف وثوباً رثاً بالياً بدلاً من الدرع الذي ما كان ليقى ديفيد ضربات ذاك العملاق...؟؟

عرف ديفيد كيف يحارب بالمقلع فاختر حجراً ووضع في المقلع ولوح به طويلاً حتى اشتدت السرعة ومن ثم قام بإطلاق حجر استقر في جبهة جولياث الذي سقط على الأرض فقفز ديفيد إلى السيف ليقطع به رأس جولياث لينتصر الحجر على السيف والدرع وينتصر الحق على الباطل وينتصر الضعيف على القوي

؟؟ وقد اختلف التاريخ على كثير من فصول هذه القصة كما اختلف السياسيون فمنهم من ادعى بأن

ديفيد أو داود فلسطيني أو من بني إسرائيل آنذاك ؟؟

تصعد المعارضة المسلحة لمستويات خطيرة، الأمر الذي أدى إلى نشر قوات الدفاع الأسترالية لقاذفات من طراز "إف 111" في قاعدة في شمال أستراليا ضمن مجموعة تحرير تيمور الأندونيسية الرئيسية ووضعت الأهداف، وقد تحركت الغواصات لبحر "تيمور"<sup>(14)</sup> أيضاً، في الوقت الذي تم فيه إرسال رسائل النوايا الحسنة، وكان من المفهوم أن يقال ذلك في جاكرتا، والتي دعت - إلى جانب مكمل غير عسكري - لاتخاذ تدابير قسرية، وهذا ما جعل من الأسهل للرؤساء أن تسود الحكمة. ولذلك فإنّ النقطة التي ينبغي التأكيد عليها في إطار السعي إلى نتائج إستراتيجية، ومفهوم العمليات والوسائل التي استخدمت هي التفاصيل.

وهكذا، فإنّ ما يهم هنا هو التأثير المعين الذي يولد. وكذلك المنهجيات والمواد المستفدة لطبقة الأوزون والتي تستخدمها المنظمات شبه العسكرية، كحركة حماس والجهاد الإسلامي، في جهودها لطرد قوات الاحتلال الإسرائيلي من الأراضي الفلسطينية ومن المفيد تقديم مثال معاكس آخر، والذي يتلخص في عدم وجود أنواع القدرات العسكرية المرتبطة بالعمليات الإستراتيجية، مثل الدرجة العالية من التدريب المهني وقوات الدفاع والتكنولوجيا المتقدمة، وهذا ما جعل تلك الجماعات تعتمد على الاستخدام المنتظم للانتحاريين وقد كان ذلك هو النشاط الرئيسي للحرب لديهم، مع تعليق نشوء تلك الحرب لتحقيق أهدافهم من خلال خلق الرعب في جميع أنحاء إسرائيل. ولعلّه جدير بالذكر هنا بأن هذه الطريقة لا تجدي نفعاً إلا بعد أن تم إضفاء الطابع الرسمي على قادة حماس والجهاد الإسلامي والتي أدركت بأنّ الأعمال العشوائية من قبل الانتحاريين في الواقع بقصد خلق الأثر الإستراتيجي، سيُنظر إليها على أنّها أعمال إرهابية، وسيكون ذلك جزئياً من خلال الاطلاع على وسائل الإعلام العالمية.

وهكذا، فإنّ انتحارياً واحداً فقط مع عدة كيلوغرامات من المتفجرات يمكن أن

---

14- بحر تيمور يشكل ذراعاً من المحيط الهندي ويقع بين جزر روت وتيمور، الآن مقسم بين أندونيسيا وتيمور الشرقية، والإقليم الشمالي من أستراليا. يمتد البحر على نحو 480 كيلومتراً على نطاق واسع، ويغطي مساحة تبلغ حوالي 610000 كيلومتر مربع.

يكون في ظلّ الظروف السائدة صاحب إستراتيجية، بل ويكون سلاحاً إستراتيجياً حيث يمكننا في هذا السياق قول الكثير عن طبيعة هذه العمليات. وفي المقابل، فإن مجرد وجود إستراتيجية، ليس من الضروري أن ينطوي على أصحابها الذين يرغبون في مواصلة الإستراتيجية على نتائج فورية. بل على العكس من ذلك، وكما ذكر أعلاه، حسب الظروف، ولربما كانت هزيمة مشرفة ستؤدي لتلبية هذا الهدف.

كما أن الغالبية العظمى من الأعمال القتالية، بدءاً من المناوشات بين حفنة من المشاة، ووصولاً إلى مسرح العمليات الحربية المختلفة من خلال الحملات التي تنطوي على مستوى عشرات الآلاف من الأشخاص والآلات، الذي يرجح أن تسفر عن تأثير إستراتيجي إيجابي للنفوس.

ومثالياً، فإن كل إجراء من تلك الإجراءات ينبغي أن يكون مناسباً لمجمل الهدف الإستراتيجي.

ولكن من أجل استخلاص نتائج إستراتيجية، لابدّ أولاً من تحديد الصفات الخاصة بها والتي تُعنى بالعدو وبمراكز الثقل، وهذه النقاط الهامة هي التي حدّدها الخبير العسكري البروسي الكبير في القرن التاسع عشر "كارل فون - كلاوتزر" حيث اعتبر تلك النقاط الإستراتيجية مركزاً للسلطة والحركة، وبحيث يتوقف عندها كل شيء، كما أنّه ليس هناك مفهوم أكثر قوة في التفكير الإستراتيجي من مركز الثقل، والقول أنّه يمكن أن يكون هناك مركز واحد أو أكثر من مراكز الخطر، إنّما ينطوي على التركيز الإستراتيجي لكل بما في ذلك التحليل والعمل والتنفيذ، وبصرف النظر عن مستوى للصراع.

يحبذ الإستراتيجيون وأنصارهم العمل باستمرار على تقوية الاستعداد للهجوم على العدو ومراكز للدفاع عن بلدهم. وهذا بالضبط ما يشكل مركز الثقل، بطبيعة الحال، بيد أنّ مسألة الاختلاف التي تتبادر إلى الذهن:

هل تكمن في الجيش؟ القيادة؟ الاقتصاد المدني، المعنويات؟ وهل تختلف بين الدول والثقافات والعصور؟ فالتاريخ مليء بالأمثلة على الحملات التي فشلت بسبب خطأ في

مراكز الثقل للهجوم وحماتها، وتلك التي تتجح بسبب مجموعة من الخبراء المتنافسين بين مركز الجاذبية للتحليل سواء كان ذلك أكثر أو أقل. وهذا المفهوم هام جداً لدرجة أنه سوف يتكرر باستمرار طوال سرد هذا الكتاب.

### النهايات، الطرق والوسائل:

يتراوح جوهر أي إستراتيجية، على سبيل المثال - كحملة إعلانية صغيرة على المسرح وحتى على مستوى الحملة العسكرية - في العلاقة بين الغايات والوسائل، والأساليب، التي تنتهي بما يدعى "بالهدف" مثل النصر التام، وعلى شرط النصر، والجمود، أو إنكار الانتصار؛ فإن "الطريقة" هي شكل يمكن من خلالها متابعة الإستراتيجية، مثل الحملة العسكرية والدبلوماسية والعقوبات الاقتصادية أو وسيلة الموارد المتاحة، على سبيل المثال: الأسلحة، والنفوذ الدولي والمال.

وهكذا، فإذا كانت ستنتهي سبل العلاقة بين وسائل غير منطقية وعملية، وبوضوح من البداية، وبعد ذلك كله، فمن المحتمل أن تصبح الحملة عرضة للخطر، أو على الأقل أن تتعرض لخطأ جسيم. ومن هنا تأتي أهمية وشهرة الأمثال في دور الإستراتيجية العسكرية، وهي أن "كلاوزفيتز" قد استنتج أنّ الحرب هي مجرد استمرار للسياسة ولكن بوسائل أخرى.

كانت استنتاجات "كلاوزفيتز" تتضمن نتيجة أنّ الحرب في النهاية هي عمل سياسي، وبالتالي فإنّ كل جانب من جوانب سلوكها، بما في ذلك وضع الإستراتيجية، يجب أن تعكس بُعداً سياسياً، ويجب أن تكون مصمّمة لدعم الهدف السياسي.

إنّ جميع الأنشطة المضطلع بها في السعي من أجل وضع إستراتيجية ينبغي أن تقاس بمقاييس البديهيات السياسية الأمر الذي يؤدي إلى تحويل هذا الهدف المثالي إلى الممارسة لكن ذلك لم يكن دائماً أمراً متوالياً، وخاصةً في العصر الحديث عندما أصبح شعبية الفرد الواحد أقل مستوى لتمثيل كل من الدولة داخل الديمقراطيات الليبرالية، في حين يحدد التشريع دائماً سلطة ممثل الحكومات المدنية خلال السلطة العسكرية، بيد أنّه مازال الحال هكذا في بعض الدول التي تمتلك قوات الدفاع

الهائلة على السلطة السياسية.

علاوةً على ذلك، فإنّ الممثلين المنتخبين مع المصالح الخاصة، من قبيل الدفاع عن مجتمع كبير أو عن بنية وطنهم، يمكن أن يعزّزوا الدفاع عن المصالح الضيقة، بينما تكون هناك اختلافات كبيرة في كثير من الأحيان بين السياسات الأمنية التي تروج للأمة ووزارة الدفاع من قبل الدولة الدائرة مع الولايات المتحدة، وقد كان ذلك مثلاً واضحاً.

من المتوقع أنّ أفضل نموذج لاحظته الخبير "كلاوزفيتز" المأثور هو الذي نشأ في الاتحاد السوفيتي بعد انتصار ثورة "البلاشفة" على السلطة القيصريّة في عام 1917، وذلك عندما ربط المفوضون السياسيون والذين يمثلون الحزب الشيوعي سياسة الموقف ومن ثمّ تمّ ربط جميع الوحدات العسكرية، للإشراف على القرارات العامة والقرارات الأخرى لضمان توافقها الوطني وكما تحددها الأهداف.

في حين أنّ اختلال النظام في كثير من الأحيان خلال الحرب العالمية الثانية، وعلى الأخص عندما تكون المطالب سياسية وإيديولوجية من المفوضين، قد يتعارض مع الواقع على الأرض وفي ساحة المعركة، وكذلك قسوة الطريقة التي يتم تنفيذها ضمن درجة فائقة من وحدة السياسة.

وقد توصل "كلاوزفيتز" إلى أنّ عنصر نهايات الطرق بين العلاقة وبين الوسائل الأكثر استجابة والتي تكمن في الحكمة إنّما توجد في الغايات. فقبل الشروع في أي حملة عسكرية، يجب القيام بمحاولة وضع هذه الإستراتيجية موضع التنفيذ، وهي الغاية المرجوة رغم أنّ هناك غايات سياسية ينبغي أن تُحدّد، وبعبارة أخرى؛ ينبغي أن يكون هناك فهم واضح لماذا يتم ذلك، وفي المواقف ذات الظروف السائدة حيث يكون الهدف المقصود هو الانتصار، وهذا هو جوهر مجرد لتحقيق الهدف الذي يبدو نتيجة مرضية من الناحية العسكرية، ولكن لن تكون له قيمة أكبر إذا لم يُدعم في نهاية المطاف. وربما بشكل أكبر، للوقوف على نتائج الغايات المنشودة إن لم يتم تحديدها بوضوح.

وفيما يلي ثمة أمثلة قليلة مما يمكن العثور عليه في هذا السياق وأهمها التجربة

القاسية للرئيس الأمريكي "جورج بوش" الأب بعد عملية عاصفة الصحراء خلال حرب الخليج عام 1991.

فعلى الرغم من النتائج التي حققها التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة في حربها ضد الرئيس العراقي "صدام حسين" بشكل ملحوظ، استطاع التحالف تحقيق نصر سريع وحاسم وإلحاق هزيمة قاسية ظاهرياً في القوات المسلحة العراقية التي لم تصمد سوى ثلاثة وأربعين يوماً مع عدد قليل نسبياً من الضحايا، لكنه مع ذلك، يعتقد الكثيرون أن الرئيس "بوش" وإدارته هم الذين كانوا وراء العملية العسكرية، حيث اعتقدوا بأن الحل الوحيد لطرد الغزاة العراقيين من الكويت المحتلة يكمن في الحل العسكري، لكنها كانت ما زالت في جوهرها مسألة سياسية، ولكن ماذا بعد؟

عندما حضر القائد العام لقوات التحالف، الجنرال "شوارزكوف" على جناح السرعة ولقائه مع نظيره العراقي لصياغة صك الاستسلام، فقد بدا للعيان، وكأنه لا يوجد أي توجيه من الرئيس "بوش" بشأن السياسة المطلوبة.

كان الهدف المتوخى في مرحلة ما بعد الحرب السياسية قد تجلى على شكل هزيمة العراق؟ وكيف سيؤثر ذلك في ميزان القوى في الشرق الأوسط؟ وكيف يمكن للعديد من الجماعات المنشقة في العراق التعامل مع هزيمة صدام؟

ماذا نريد أن يفعل التحالف مع صدام؟ وكيف؟ وماذا سيكون الرد على تصرفات الولايات المتحدة التي كانت آنذاك تعمل في فراغ سياسي، وفي حين كان الجنرال "شوارزكوف" عديم اليقين من مستقبل الوضع في العراق بعد "صدام حسين"، لأنه سيحدث تغييرات إستراتيجية على المدى الطويل، وليس من المستغرب أن تكال تلك الجهود المضنية بالنجاح في غضون أسابيع من الحرب التي خلص إليها الرئيس العراقي السابق "صدام حسين" بحيث أصبحت تسيطر على العراق مرة أخرى، في غضون سنة، ومرة أخرى كان ينظر إليها على أنها تشكل تهديداً رئيسياً للأمن الدولي.

في الواقع، وعلى الرغم من إذلال الجيش العراقي في منتصف عام 1991 استطاع

الرئيس العراقي صدام حسين مع بعض الحنكة السياسية تبرير المطالبات بحيث استطاع أن يحصل على انتصار سياسي من نوع ما على الولايات المتحدة. لكن النتائج جاءت على غير ما كان متوقفاً في أعقاب الحرب الثانية على العراق بقيادة الولايات المتحدة في عام 2003، وقد تقرر هذه المرة أن "نظام صدام" كان نظاماً لا بد من إزاحته قسراً، وهكذا وجهت قوات التحالف العسكري من جانب إدارة الرئيس جورج بوش (جورج "إتش" بوش الابن) بعد أسابيع فقط للقضاء على الجهاز السياسي والعسكري لصدام حسين الحاكم وعلى حزب البعث دفعة واحدة. في تلك الآونة، كان ثمة جهل ينتشر على واسع النطاق في العراق في الثقافة والعادات الاجتماعية، في حين كان من المتوقع من إدارة "بوش" تحقيق أي نصر عسكري لكنه سيكون مصحوباً بوضع أسس الديمقراطية وإلى تركيبة حكم عراقية تحكم بشكل ملائم للمصالح الغربية. لكنه، وبدلاً من ذلك، فقد تعاقبت حملات من الهجمات ضد القوات الأمريكية مما أدى إلى نشر الإرهاب في المناطق الحضرية! حيث بدا أن كثير من العراقيين - الذين يكونون كراهية شديدة لصدام حسين - قد أبدوا استياءً أكثر لوجود الغزاة الغربيين، وقد كان ذلك من أحد الأسباب التي أدت إلى تنحي الرئيس "جورج بوش" في عام 1991، وكان قد تردد عنه بالغ قلقه من أنه إذا اضطر الرئيس "صدام حسين" وأنصار السنة على التخلي عن منصبه، فإن ميزان القوى في العراق سيميل نحو الغالبية من الشيعة، والذين قد يعرض الدولة لكي تُحكم على غرار الحكم "الثيوقراطي" لوجود إيران الشيعية المجاورة، والتي كانت معادية لمصالح الولايات المتحدة.

ومن المفارقات، أنه وبعد النصر العسكري الأمريكي الذي تحقق على الأرض لعدة اعتبارات، إلا أن الفشل السياسي كان بارزاً، وهذا ما حدث بالضبط عندما جرت الانتخابات الحرة في العراق في أوائل عام 2005، حيث عادت هيمنة الشيعة التي تحكم بشكل متزايد وبدأت تعبر عن القيم الإسلامية المحافظة. وعلاوة على ذلك، قد يثبت أيضاً في القضية الثانية ذلك أنه جرّاء الغزو الأمريكي للعراق، فقد سارعت إيران بتكثيف جهودها لامتلاك أسلحة نووية، من أجل أن تضمن حمايتها

من أن تصبح هدفاً مماثلاً للجيش الأمريكي في المستقبل، بالإضافة لأمر آخر وهو أن الغزو الأمريكي للعراق قد خلف قناعة لدى الفلسطينيين المعتدلين للتصويت، مع اعتلاء حركة حماس - غير المرضي عنها - سدة السلطة في كانون الثاني من عام 2006.

كان لا بدّ من تحليل نتائج حملات الغزو التي قام بها كل من "بوش" الأب والابن ضد "صدام حسين" أيضاً لتوضيح العوامل الحاسمة من سياقها، في الوقت الذي يجب أن تؤخذ فيه في عين الاعتبار معرفة الغاية المرجوة من كل ذلك الغزو. في كل تلك الحالات، كان الهدف من التعامل مع "صدام حسين" عسكرياً على المدى القصير قد تحقق، ولكن ضمناً، في حين بقيت مسألة ما يمكن عمله حيال إرثه السياسي الأوسع والوضع في الشرق الأوسط هي الهدف الرئيسي على المدى الطويل.

في المثال السابق، كان التحالف الأكبر للحلفاء الإستراتيجيين خلال الحرب العالمية الثانية ينصّ على نفس القدر من الفائدة في دراسة الحالة، ولكن في اتجاه إيجابي. فمن الواضح على المدى الطويل أنه كان هناك حاجة لخلق حلفاء، من أجل هزيمة دول المحور، ولكنه وحتى عام 1943 لم تكن مسألة إيجاد مثل ذلك التحالف على خريطة أرض الواقع أمراً ممكناً عسكرياً، وبالتالي، وكما لوحظ فإنّ الأثر المنشود كان يكمن في مجرد البقاء على قيد الحياة.

كانت الآثار المترتبة على ذلك القرار بالغة الأهمية، من بين أمور أخرى تقل أهمية، ما يعني تخلي الحلفاء - إذا لزم الأمر - عن الأقاليم الرئيسية في منطقة المحيط الهادئ، وذلك من أجل تحقيق نصر فوري والإفراط في التمسك بذلك الهدف بغية البقاء في مسرح العمليات الرئيسي في أوروبا حيث اعتبر البعض هذا القرار قراراً لا يعرف الرحمة، لكنه لا شك في أنه، وفي إطار الحرب الطاحنة التي كانت دائرة آنذاك، إلا أنه كان الهدف الإستراتيجي للتصحيح في ذلك الوقت.

من نافل القول في هذا المقام أنه إذا كانت الغايات المرجوة من أي مسار عمل ليست مفهومة بشكل واضح، أو واقعية، في الوقت المناسب، والتي تقع ضمن السياق، فإنّ

تنفيذ هذه الإستراتيجية ستكون ذات خطة مكتملة أو أنها من المحتمل أن تفشل!! وذلك يعود بالطبع إلى العلاقة الحتمية بين الأهداف والإستراتيجية، وقد كان ذلك من الأمور المفهومة تماماً لأحد أعظم الجنود ورجال الدولة في القرن العشرين الجنرال "جورج مارشال"<sup>(15)</sup> الذي اعتقد على أنه إذا كانت الأهداف المحددة والملازمة بشكل صحيح، وبعبارة أخرى أي شخص تقريباً يمكنه الكتابة الإستراتيجية. وهنا، لابد من تحديد "سبل" كيفية تنفيذ الإستراتيجية في خطوطها العريضة وكيف؟ والغايات التي يجب اتباعها.

كانت طريقة الحلفاء والمحور في الحرب العالمية الثانية تكمن في تنفيذ قوة الضربة الساحقة على السواء، والتي تعتمد على استخدام القوة العسكرية، وذلك كوسيلة لمحاولة تحقيق الهدف من دون شروط النصر، في حين كانت السبل المحتملة الأخرى مثل المفاوضات الدبلوماسية والضغط الاقتصادي تلعب أدواراً صغيرة نسبياً.

ولكن خلال الحرب الباردة، وعلى النقيض من ذلك، كانت الأهداف تنفذ من خلال التهديد باستخدام القوة، عن طريق ربط نظريات التدمير المتبادل المؤكد، والردع، وقد سعت الولايات المتحدة والروس على حد سواء لاحتواء تلك الحرب الباردة، حيث استخدم كل منهما نفوذه في التأثير العالمي من أجل تجنب وقوع محرقة نووية، ذلك لأن تمثيل الإيديولوجيات المتناحرة المشتركة ليس فقط هدفاً إستراتيجياً ولكنها تعاونت لتحقيق هذا الهدف، مع الاستمرار في الدخول في عداء صريح مع طائفة أخرى من القوى العسكرية والاقتصادية والاجتماعية، ويبدو أنها هنا تؤكد على اقتراح المرونة الفكرية التي هي السمة الرئيسية للتفكير الإستراتيجي.

وأخيراً، فإن وسائل الموارد اللازمة للنصر في تنفيذ الخبير العسكري الإستراتيجي الصيني "صن تزو" والتي كانت طريقته لتحقيق الأهداف المنشودة، لكن الإفراط

---

15- الجنرال جورج كاتليت مارشال ولد في 31 ديسمبر 1880 في مدينة يونينتاون بولاية بنسلفانيا وتوفي في 16 أكتوبر 1959 في واشنطن دي سي رئيس أركان الجيش الأمريكي الـ15 في أثناء الحرب الفلبينية الأمريكية، ووزير خارجية الـ50، ووزير الدفاع الثالث، وحاصل على جوائز عدة.

في تبني هذا المبدأ هنا هو عدم السماح لأيّ كان تجاوز الطموح وقوة القبضة الواحدة وهذا هو الهدف المرجو إذا كانت الوسيلة لتحقيق الغاية لا وجود لها، على الرغم من أنّ النهايات قد تكون أحياناً غير واقعية.

تنتهي مطابقة أحدث الوسائل عادة مع مدى تناغمها فيما بينها، فعلى الرغم من توخي الحذر بشأن مدى الغايات الطموحة، تظل الحقيقة الظاهرة في أنه وحتى في الدول والمنظمات الفقيرة، فإنه من المحتمل أن يكون في حوزتها مجموعة كبيرة من الوسائل المتاحة لها! ومن بينها على سبيل المثال الانتحاريين الذين سبق ذكرهم على اعتبارهم سلاحاً إستراتيجياً قوياً؛ ومن التدابير الأخرى المتاحة أيضاً قد تشمل الضغوط الدبلوماسية، والتلاعب بالرأي العام الدولي، واستغلال ميزة النسبية في الموارد الحيوية مثل النفط، والأخشاب، والجغرافيا، أو رأس المال الفكري.

لكن الأنظمة في الصين والولايات المتحدة، وعلى عكس ذلك النهج السابق، فإنها ترى في الوسائل العسكرية أكثر أصالة.

وهكذا، فإنه ينبغي ألا يُفاجأ أحد فيما حدث أثناء الحرب العالمية الثانية، لكنه وخلال فترة التسعينيات فقد عقدت طبقات السكان الفقيرة اقتصادياً والغنية بمواردها العزم للاعتماد على مجموعة كبيرة من القوى العاملة وذلك حسب إمكانياتها من أجل دفع أي من أطراف النزاع إلى حرب تتميز بالدمار، بما في ذلك متابعة القتال، وحروب الاستنزاف.

أما الولايات المتحدة، فقد وقفت على النقيض من ذلك كله، حيث وجدت وسيلة أخرى خاصة بها، وقد أصبحت رمزاً للغرب في وسيلة حروبها، والذي يشارك فيها اقتصاد قوي وقاعدة عريضة لنظام التعليم والاعتماد عليه وعلى التفوق التكنولوجي والأفراد المدربين تدريباً عالياً، وهذا بدوره قد سهل القدرة على القتال والمعرفة والدقة، وعلى تقدير المسافات بدقة.

وفي المقابل، فإنه وحتى العقد الماضي أو نحو ذلك، بدأت الصين إعادة قواتها العسكرية ليعكس تزايد الرخاء وتحسين القاعدة التكنولوجية على وجه السرعة الأمر الذي يدل على أن مثل هذه الإستراتيجية الكبرى، والوسائل العسكرية، مثل

البشر، والدبابات والسفن والطائرات، وأجهزة الكمبيوتر، يمكنها مجتمعة القيام بالتغيير بما في ذلك تغيير الوسائل، كما أنّ الأمر ذاته يترافق مع المسؤولين الذين يجب أن نتوقع، عاجلاً أم آجلاً أن تلحقهم رياح التغيير، من خلال المفاهيم الأساسية، والتي تتوخى الإستراتيجية باستخدام هذه الوسائل، والتي سوف تتغير أيضاً.

وهكذا، ففي حالة الصين، والتي من شأنها أن تشير إلى التحول من التركيز على الأسلوب القديم كحروب الاستنزاف التي خلقت من أجل التوصل إلى أكثر من نموذج للمعاصرة والصراع، مثل تلك التي تستخدمها الولايات المتحدة الأمريكية، والذي تحول، وكما يحدث، حيث يبدو أنه بدأ ينعكس في العقيدة العسكرية الصينية مؤخراً.

ومن هذا المبدأ، فإنّ الجنود الذين يرتدون الزي العسكري وآلات الحرب ليست سوى مكونات أي مجموعة من الوسائل العسكرية. في الوقت الذي تفضل فيه العملية "اللوجستية" تماماً، وهذا ما كان قد تحقّق على يد العديد من الجنرالات، وكذلك التراجع عن الهزيمة في ميدان المعركة.

وكما أشار "نابليون بونابرت" في قوله الشهير المأثور بأن: "الجيش إنّما يسير على معدته"، فإنّ تلك المقولة لا تزال سارية المفعول حتى وقتنا هذا؛ ولكن اليوم أيضاً لا بدّ من أن نذكر الوقود، والنفط، والذخائر وقطع الغيار اللازمة، والمجموعة الواسعة والمعقدة من أنظمة الأسلحة. فإذا ما حدث خلل تكتيكي فإنّ الكارثة ستكون عظيمة.

وهذا ما حصل مع القوات الألمانية التي قادها الجنرال "إرفين رومل"<sup>(16)</sup> التي علقت في الصحراء حيث لم يكن ممكناً التغلّب على نقص الوقود والوحدات الميكانيكية، الأمر الذي أدّى به في نهاية المطاف إلى الهزيمة حتى انتشروا في صحراء شمال

---

16- إرفين روميل ولد في 15 نوفمبر 1891 م في بلدة هايدنهايم قرب شتوتغارت الألمانية كان يلقب بثعلب الصحراء، حيث كان يرى أنه واحد من أمهر القادة في حرب الصحراء. حصل على رتبة مشير أثناء الحرب العالمية الثانية في شمال إفريقيا. انتحري في 14 أكتوبر عام 1944 م.

إفريقيا من عام 1941 إلى عام 1943، وكذلك كان السعي من قبل الحلفاء للقيام بدور أكثر معاصرة، ومثال ذلك أنه ليس من قبيل المصادفة أن معظم الدول لم تتمكن من المحافظة على مساعدات لتطوير فعال للقوات الجوية الأساسية حيث التكنولوجيا والبحث العلمي هي من عناصر الوسائل العسكرية عموماً، ومن الصعب جداً تحقيق ذلك بالإضافة لكونها مكلفة للغاية.

ومن البديهيّات العسكرية أن الجيش في الوقت الذي يقضيه في الاستطلاع يكون إهداراً للقوى من أي وقت مضى. ومن هنا يمكن أن تعاد صياغة الإستراتيجية، في الوقت الذي يكون فيه أي صانع قرار، من وإلى الرئيس والقائد العام إلى القطاع الخاص للجنود، وهذا ما سيؤدي لأن نتفق على اثنين من الاعتبارات الإستراتيجية الحاسمة التي لن تضيع:

- أولاً: يجب أن نفهم بوضوح، ما في ظلّ الظروف السائدة، ماذا يعني الانتصار.
- ثانياً: يجب أن نضمن أن تكون الغايات المرجوة منها واقعية ومحددة تحديداً واضحاً، وبما يتفق مع الأهداف السياسية، وأن اختيار طرق تحقيق تلك الغايات يجب أن تكون قابلة لاستخدام الوسائل المتاحة، وأن تكون مناسبة ومستدامة.

وهكذا، تبرز أهمية إنشاء والحفاظ على العلاقة المنطقية بين الفائز والخاسر، وكذلك السبل والوسائل التي لا يمكن المبالغة فيها.